بين الانترنت و عزلتي الاجتماعية

حفيظة العبيدي

"رواية"

بين الانترنت و عزلتي الإجتماعية

–رواية–

الكاتبة: حفيظة العبيدي

٣ سبتمبر ٢٠١٢

في اول يوم من بداية السنة الدراسية الجديدة، استيقظت على صوت المنبه، نهصت بنشاط كبير ثم سويت فراشي، ايقضت اخي سعد الدين الذي كان يشاركني الغرفة، خرجت من غرفتنا وسرت في الممر نحو الحمام ، اخذت دوشا سريع بعد ان حلقت ليحتي الخفيفة، القيت نظرة على المرآة فطمأنتني: تستطيع أن تذهب للمعهد بهذا الوجه الانيق والملامح الرجولية.عدت فوجدت اخي على وشك النهوض

قلته له :–اسرع و جهز نفسك قبل يدركنا الوقت..

اخي:–حسنا..(بتثاقل كبير)

فتحت دولابي واخرجت كل ثيابي لانتقي منها لباسا مناسبا لشاب يدرس في البكالوريا..اخترت قميصا ابيضا بنصف ردن وبنطلون من الجنينز ازرق اللون وحذاءّ رياضيا خفيفا لاكتفي برشة عطر كلاسكي فأنا تعودت على ان اكون حريصا جدا على اناقتي منذ الصغر ، خرجت من غرفتي بخطوات ثابتة،

نظرت إلى الساعة المعلقة على جدار غرفة المعيشة كانت عقاربها تشير إلى السابعة و عشرون دقيقة، مازال نصف ساعة على الخروج، سمعت صوت امي تنادينا من المطبخ: – هيا يا اولاد الفطور جاهز

دخلت المطبخ وجدت امي قد اعدت الفطور على اكمل وجه

–صباح الخير يا نور قلبي

امي كالعادة بوجه بشوش:–صباح النور بني العزيز ، اين سعد الدين الم يستيقظ بعد ..

–لا بل استيقظ، تركته يجهز نفسه..

–حسنا ، اجلس و تناول فطورك

جلست واخذت التهم قطعة الخبز المطلية بمربى المشمش، كانت امي قد وضعت ابريق القهوة فوق الطاولة سكبت كوبا و وضعت فيه قطعتي من السكر ورحت اذوبهما ثم تشرفت قهوتي الساخنة ..التحق بي اخي سعد الدين وجلس يشاركني طاولة الفطور..

حان موعد ذهابي جمعت اوراقي و كتبي و تهيأت للخروج، فعلى التلميذ المجتهد أن يحسب حساب الوقت، قبلت رأسي امي و قصدت الثانوية بكل حيوية وحماس لخوض مرحلة البكالوريا وأحلام كثيرة في ذهني راسخة تتطلب إجتهاد ومثابرة من شاب حريص على نفسه وحريص على سعادة والدايه، امشي في الشارع منتظما يتبعني اخي سعد الدين الذي يدرس في الاولى ثانوي...وصلنا في الوقت المناسب وكان حشد كبير من التلاميذ امام

مدخل المعهد يتهيؤون للدخول ، التحق اخي برفاقه اما انا كنت ابحث عن صديقي سيف من بين التلاميذ حتى لمحته يقف مع مجموعة من الشباب ، ناديته حتى سمعني و اقبل عندي ، تعانقنا وتبادلنا التسليم تعويضا معنويا عن فترة طويلة لم يرى فيها احدنا الآخر مع أننا نسكن في نفس المدينة، سيف قريب وبعيد،قريب من قلبي بسبب رجاحة عقله و طيبة قلبه هو بمثابة أخ بالنسبة لي ، وبعيد بسبب المسافة التي بيننا اثناء العطل فنحن لا نتواصل مع بعضنا البعض،التحقنا ببقية الشباب كانوايتحدثون عن كيفية تواصلهم مع بعضهم عبر الانترنت أثناء العطلة الصيفية، كنت استمع لحديثم بصمت فأنا لا أعرف شيئا عن الأنترنت سوى أنها شبكة تواصل إجتماعي، دق الجرس و دخل الجميع بعد تحية العلم دخلت القسم واستلمت مقعد من المقاعد الامامية ، وضعت دفتر المادة على الطاولة و شرع الاستاذ في إعادة دروس السنة الفارطة كمراجعة قبل الدخول في البرنامج الدراسي الجديد..كنت أتابع الاستاذ بكل إهتمام و كل معلومة مفيدة ادونها في آخر الدفتر ...مرت الحصة الاولى من مادة الفلسفة ، خرجت إلى الساحة أبحث عن صديقي سيف وجدته امام الثانوية فصرخت في وجهه : لماذا لم تحضر حصة الفلسفة و تكرتني وحيدا في القسم؟

نظر لي مبتسما و قال:لقد كنت في في مقهى الأنترنت، خلال ساعة واحدة تعرفت على صديقة فرنسية

–فرنسية!!؟

–نعم فرنسية

سالته بقلة معرفة: و كيف ذلك

اجابني صديقي بكل ثقة في نقس: عبر الانترنت يا صديقي..

دق الجرس معلنا عن نهاية إستراحة دامت خمس دقائق، ذهبت رفقة سيف إلى القسم وكالعادة استلم مقعد من المقاعد الامامية قرب صديقي ..مر اليوم ولا جديد يذكر سوى إعادة بعض ما درسناه السنة الماضية فعادة اليوم الاول يكون شبه مراجعة للدروس السنة الفارطة..دلفت إلى بيت، القيت السلام على والداي ووضعت محفظتي في غرفتي،بعد صلاة المغرب جلست مع امي و ابي و اخي على مائدة العشاء و شرعنا في الأكل ، سألني ابي: –كيف كان يومك الدراسي اليوم؟ اجبته : الحمدلله كان يوما جيدا

ابتسم ابي قائلا: من نبرة صوتك يظهر ان الامور تجري على ما يرام..

ابتسمت له: نعم الحمدلله

ربت على كتفي قائلا: أريد أن تحصل شهادة البكالوريا وترفع راسي يا بني ، أنني أنتظر ذلك يوم بشدة..

_ إن شاءالله سافعل ذلك..

بعد العشاء ذهبت إلى غرفتي ، اخترت من الرف رواية فرنسية لفيكتور هوجو، قبعت على سريري ثم شرعت في القراءة وانا استمتع بكل كلمة و بكل سطر لأنني من محبي المطالعة عامة ومن عشاق الادب الفرنسي خاصة.. مرت ساعة كاملة حتى سمعت صوت والدي يناديني: تقي الدين لقد حان موعد صلاة العشاء، وكما تعودت اديت صلاتي جماعة مع والدي و

اخي سعد الدين.. و ككل ليلة جلسنا جميعا امام التلفاز لنشاهد معا المسلسل الكوميدي "شوفلي حل"..

******

صباح جديد و روح جديدة، استيقظت كالعادة على رنين المنبه الذي اخترق هدوء الغرفة، الساعة السابعة صباحاً، فتحت عيني ونهضت بنشاط كبيرة، اتجهت صوب النافذة، فوجدت أن الشارع بدأ يمتلئ بالمارة، أيقظت أخي ورحت أجهز نفسي، ارتديت ملابسي ثم بدأت في تسريح شعري..و كأي يوم يجب ان يكون مظهري بأفضل حالاته..و كل هذا لأنني ادرس في البكالوريا..

القيت نظره اخيره على وجهي الوسيم في المرآة... ثم التقطت حقيبتي مستعدا للخروج ... واذ بشقيقي المزعج ... ذو اللسان الطويل قائلا: جميل جدا، ستنال إعجاب جميع فتيات الثانوية (قهقهة بسخرية) هيا الفطور جاهز ..

تناولت الفطور رفقة اخي المشاكس ثم توجهنا إلى الثانوية مع دعوات والدتنا..

دخلت القسم، ألقيت نظرة خاطفة على المقاعد الخلفية فوجدتها ثاغرة كالعادة ، استلمت مقعدا، فبدأ أحد التلاميذ يسخر مني قائلا: المرجو أن تنتبه جيداً أثناء السياقة!فانطلقت ضحكات من شتى أرجاء القسم، لم أعره أي اهتمام، بل حملت دفتري لأنقل التمرين الذي كان يكتبه الاستاذ على الصبورة..بعد دقائق إلتحق بي صديقي سيف

همست له : لماذا تأخرت!

–اجابني بصوت خافت: كنت في مقهى الانترنت

اصابني الفضول و بدأت افكر بيني و بين نفسى لا بد أن اكتشف سر الانترنت بنفسي

بعد منصف النهار في طريقنا و نحن نمشي عرضت على سيف أن ندخل إلى مقهى الانترنت القريب من الثانوية في حي"الزهوز"..

دخلنا ، جلس سيف امام الحاسوب لأنه صاحب خبرة واصبح محترف في أمور الكبميوتر و التشات واما انل اخذت كرسي وجلست بجانبه وظللت اراقبه واكتشف عالم الانترنت لأول مرة في حياتي ..مر الوقت بسرعة واستمتعت كثيرا ..مضى اليوم الدراسي خرجت رفقة سيف ودعته ومضيت إلى المنزل بعد يوم رائع برفقة صديقي سيف، تناولت وجبة العشاء باكرا و بعد أن أديت واجباتي الدينية خلدت للنوم.

****

يوما بعد يوم يزداد إعجابي و تعلقي بشبكة الإنترنت بعد أن اكتشفت أنها أصبحت تلعب دورا محوريا في حياتي صار من الصعب الاستغناء عنها.
علاقتي بالشبكة الانترناتية تطورت كثيرا من مجرد مستخدم عادي إلى مدمن ، اصبحت امضي اغلب اوقات فراغي في مقهى الانترنت إلى ان قررت شراء كمبيوتر خاص و طلبت ذلك من والدي بحجة انني احتاج إليه في دراستي ، فوافق ابي دون إعتراض واشترى لي الكمبيوتر ومن هنا بدأت في التعمق اكثر فاكثر في مواقع الانترنت.. وبدأت حياتي تتغير رويدا رويدا وتمر الايام..
اجلس امام الكمبيوتر لساعات ، اتجنب في كل وقت الجلوس رفقة عائلة..تجري الايام مسرعة و تعلقي الشديد بالانترنت ازداد اكثر فاكثر لدرجة الإدمان والابتعاد عن الجو العائلي وحياتي العادية لم أعد أبالي بوجود التلفاز ولم اعد اهتم حتى بمسلسلي الكوميدي المفضل اصبحت اشاهد أفلام مرعبة و اكشن على الكمبيوتر.. يوم جديد يشابه الامس عدت من الثانوية ،دلفت إلى المنزل، ألقيت السلام وألقيت محفظتي في غرفتي، جلست مع عائلتي على مائدة الغذاء،وكالعادة ابي يسألني عن دراستي وأنا اجيب بأن الامور على ما يرام و اتهرب من اسئلة والدي بين الحين و الآخر..
خرج أبي إلى العمل فتنفست الصعداء، حمدت الله أنه لم يطلب مني مرافقته للثانوية للسؤال عني، فقد كنت متأكدا أنه لن يسمع أخبارا تسره البتة. بعد الغذاء طلبت مني أمي أن أذهب لمراجعة دروسي، ذهبت لغرفتي، وحملت رواية من الرف، بدأت أتظاهر بالقراءةإلى أن غلبني النعاس .

استيقظت على صوت المؤذن، إنها صلاة العصر، بعد الوضوء أديت صلاتي، ولم أنسى كالعادة أن أدعو الله عز وجل أن يوفقني للحصول على شهادة "الباكالوريا"، أتضرع دبر كل صلاة لعل الحق سبحانه يستجيب دعائي، لكن اليوم وأنا أدعو دخلت علي أمي الغرفة، بقيت واقفة إلى أن أكملت الدعاء، فقالت :

تقبل الله مني ومنك يابنيّ .

آمين منا ومنكم

ماذا كنت تطلب من الله عز وجل أثناء الدعاء يا بني؟

لا شيء يا أمي، أنت تدرين أنني لا أريد سوى الحصول على شهادة الباكالوريا وبأعلى معدل ممكن.

ابتسمت أمي وقالت لي اخلط مع الدعاء شيئا من القطران، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بالتوكل فقد قال "اعقلها وتوكل ... " فأنت تجلس طوال الوقت أمام الكمبيوتر وتريد الحصول على شهادة الباكالوريا، كيف بالله عليك أخبرني كيف؟ ...لقد تغيرت كثيرا يا بني أنت كنت مجتهد و مثابر لكن منذ شراء الكمبيوتر اصبحت إنسانا آخر..

لم أجلس إلا قليلا وخرجت من الغرفة، وتركت أمي تحولق ورائي بصوت منخفض...

مر هذا اليوم كغيره من الأيام وتلته أيام لم تكن أحسن منه البتة ومع اقتراب شهر يوليو تكثر المعاناة، يرتفع الضغط، ويتوب العديد من التلاميذ،

فالإمتحان الوطني بالنسبة للبعض كيوم القيامة، ما إن يقترب حتى يعجل المذنبون بالتوبة، وتملأ المساجد بتاركي الصلاة من التلاميذ وتظهر عدة تجليات للإستعداد للإمتحان كل على شاكلته.

بالنسبة لي كان لا بد من اتخاذ بعض الإجراءات استعدادا للإمتحان الوطني، ، . ماكان ينتظرني ليس بالهين، كيف يمكنني خلال هذه الفترة القصيرة تلخيص دروس والعربية والفلسفة والتاريخ والجغرافيا..

كنت أجلس طوال الوقت أمام الكمبيوتر و اكتشفت مواقع التواصل الإجتماعي من بينهم الموقع الاشهر"الفيسبوك" اصبح لدي حساب على الفيسبوك لكن أستعمله فقط لمتابعة الأخبار و نشر تدويناتي..

مع اقتراب الأمتحانات الوطنية كنت وأحاول يائسا أن اراجع دورس مادة الفلسفة فقد أخدت بعد المواضيع المكتوبة سلفا وقمت بحفظها، وكان هذا الأمر أسهل بكثير من حفظ مواقف عشرات الفلاسفة.مرت فترة المراجعة التي كنت فيها حبيس نفسي اكثر و جاء اسبوع الاختبار الوطني كنت متخوفا من أن تؤثر الانترنت على فرصتي في الحصول على شهادة الباكالوريا..مضى الاسبوع و اجتزت كل الإختبارات عدت حبيس غرفتي أنتظر النتيجة النهائية، اشاهد فيلم مرعب مع شرب القهوة واتطلع إلى نهاية اليوم..

جاء اليوم الموعود..صعوداً وهبوطاً بحثا عن اسمي بين الناجحين، كنت أبحث عن إسمي ولكن دون جدوى، حاولت مراراً وتكراراً، لكن لم أفلح في أية مرة، وقفت مصدوما دون حراك مر أمام عيني شريط الذكريات سريعا، منذ

أول وهلة دخلت فيها المدرسة، وأنا لا أزال طفلاً صغيراً، وكيف كنت أتمنى أن أصبح دكتور محامي، وكيف كنت أردد "عندما أكبر أريد أن أكون "محامي" كلما سألني أحدهم، تذكرت أيام الدراسة وكيف كنت مجتهداً وأحصل على أعلى النقاط طيلة مشواري الدراسي، وكيف تغير الأمر فجأة، وفي آخر سنة لي بالتعليم الثانوي، تذكرت الأيام التي أمضيتها في هذه السنة، تخيلت أمي كيف ستتقبل هول هذه الصدمة و أبي ايضا.قطع شرودي صديقي سيف : مبارك لنا يا اخي لقد نجحنا

– ماذا ؟ سألته بلهفة وأنا متجه نحوه.

وجدته واضعا إصبع سبابته فوق اسم ما إن رفعه حتى قرأت اسمي، ركزت فوجدت أنني حصلت على شهادة "الباكالوريا"، فذرفت الدموع من عيتني و عانقت صديقي بحرارة..ها قد حصلت على شهادة البكالوريا لكن ماذا ينتظري في حياتي الجديدة..انتهى العام الدراسي وانا اصبحت اكثر إنعزلا ، الانترنت تسحبني شيئا فشيء إلى عزلتها المظلمة و كأنني اصبحت مجبرا بها بل أنني مجبرا بها كأنني وجدت راحتي النفسية في هذه العزلة..حتى عائلتي لاحظ تغيري الكبير و ابتعادي الشديد عنهم..حتى دخولي إلى الجامعة لم يؤثر في إدمان بل بالعكس تعمقت في عزلة الانترنت اكثر حين استجرت شقة لوحدي لأنني اصبحت أدرس في العاصمة بعيدا عن منزلي.. أحاول في كل يوم في الجامعة الاندماج مع الطلاب ألا انني اشعر بان هناك فجوة تحول بيني و بينهم تدفعني إلى الرجوع إلى الوراء و العودة

من جديد إلى حضن الانترنت كأنت تسحبني إلى عالم غريب و صامت وانا لا أستطيع المقاومة،

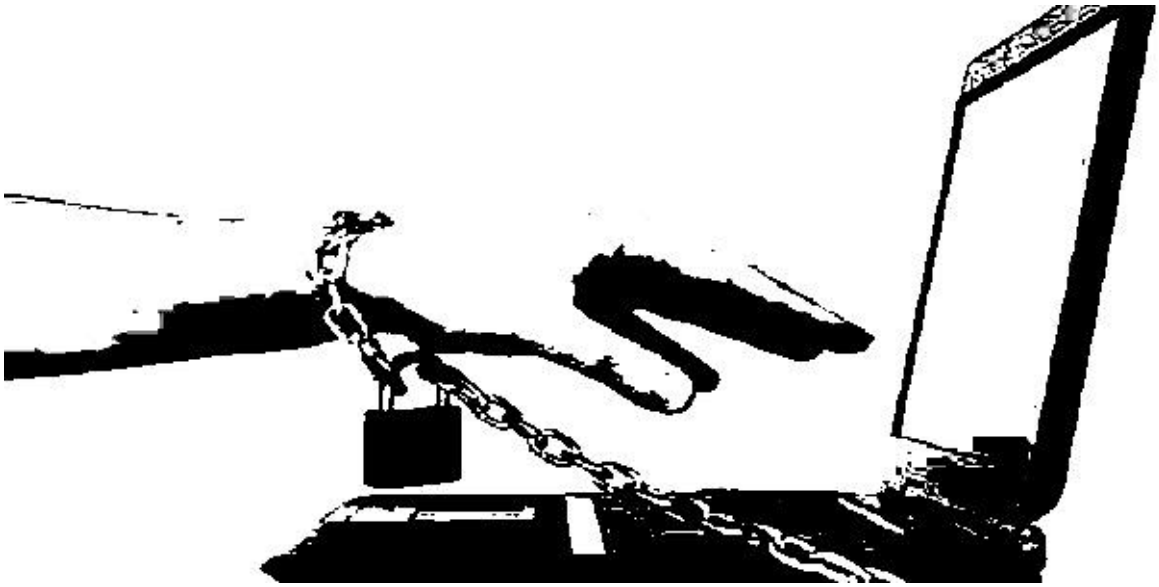

في ليله عاصفه مرعبه ... رعد و برق ... سماء سوداء داكنه ... تزينها خطوط بيضاء مضيئه ...

شوراع تفيض بالمياه ... و اناس في حاله استنفار ...

عدت الى شقتي بعد عذاب ... فالطريق من الجامعة ...

دخلت شقتي بسرعه ... و قد كنت مبللا بالمياه ... من راسي الى اخمص قدماي ...غيرت ثيابي لا شاهية لي في العشاء ، فتحت الكمبيوتر و دخلت

على الفيسبوك الذي أفضل إستعماله دائما، ظهرت الشاشة الرئيسية الزرقاء لنظام الفيسبوك امامي قمت بالولوج مباشرة إلى خانة البحث بكلمة"سواد" لكن ليس هناك حساب بأسم سواد ففكرت بعمل حساب جديد لي بهذا الاسم الغير المعروف..

..في العطلة الشتوية خلال شهر ديسمبر عدت إلى بيتنا ، لم اكن سعيد بالإنضمام إلى عائلتي بل كنت اتحاشى البقاء معهم في كل حين واتحجج بالدراسة لاحظا والدي تغيري الشديد وأنطوائي خصوصا امي كانت ترمقني احيانا بنظرات غريبة وحزينة الا انها تكتفي بالصمت..كنت في غرفتي كالعادة امام الحاسوب الذي نلقته معي أثناء عودتي إلى المنزل فأنا لا أستطيع البقاء بدونه ، كان حبي للحاسوب اقوى من كل تجاهل..دخلت إلى موقع الويب أبحث عن معلومات تفيدينا في برمجة الحواسيب، وبينما كنت مشغولا طوال الوقت بتشكيل امبراطوريتي الصغيرة على الانترنت كانت عائلتي تعاني من إنطوائي الشديد ..

الأول من شهر يناير ٢٠١٣استيقظت كالمعتاد ، متاخرا عن الجامعة أرتديت ملابسي بطريقة عشوائية فلم اعد اهتم بمظهري مثل السابق ثم خرجت من شقتي بتثاقل كبير..وصلت للمحاضرة و جهزت نفسي لم سيقوله الاستاذ عن سبب تأخري لكنه لم يفعل بل تجاهلني تماما كأنه سئم مني ..في نهاية اليوم عدت إلي شقتي التي يخيم عليها الظلام الدامس، اصبحت افضل الظلام

واكتفي بنور الكمبيوتر فقط و اغوص في عالم الانترنت الذي اصبح بالتطور شيئا فشيء و تعددت مواقع التواصل الاجتماعي و يبقى الفيسبوك أهمها..

يونيو ٢٠١٦

مرت ثلاث سنوات و انا على نفس الحالة بل اصبحت اكثر إنعازلا و كأبة، لقد لطخت شبكات التواصل الاجتماعي روحي بعزلتها الحالكة حتى صارت روحي كتلة سواد قبيحة.طوال السنين التي مضت اصبحت محترف في كتابة الحكايات المرعبة واصبحت لي مدونة على متصفح الجوجل كنت موهوبا في الكتابة لكنني لم أجرب يوما أن استفيد من هذه الموهبة.. في اليوم الثالث من يونيو ذهبت إلى محل بيع الهواتف الذكية والاجهزة الحديثة واشتريت هاتفا ذكيا من نوع الاندرويد كهدية لنفسي مع قدوم عيد ميلاد الثالث والعشرون، كنت قد تأقلمت مع حياتي تلك بكل ما فيها لذلك قررت انني سأعود للاحتفال بعيد ميلادي من جديد وحدي واكتفي بوضع منشور على الفيسبوك..اشتريت قالب من الكيك و وضعته امامي في تلك اللحظة عاد بي الزمن و تذكرت طفولتي حينما كنت احتفل بعيد ميلادي رفقة عائلتي و تأتيني الهديا من والداي..شعرت بحنين شديد إلى الماضي البعيد ، زمن مضى وما عاد..قبل دخول عصر الانترنت،حياتي كانت جميلة وليتها تعود! صفحة بيضاء كلها نقاء و محبة سنوات مضت و تبقى الوان الماضي خالدة في ذاكرتي..من الشقة إلى الجامعة و من الجامعة إلى الشقة ، ابتعدت كل البعد عن ضجة الواقع..في هذا الشهر الصيفي تزحف الايام وئيدا ومع حلول شهر اغسطس ينتهي العام الدراسية لهذه السنة ، هذا أفضل بالنسبة لي لم اعد أريد أن التعامل مع الناس حتى عائلتي لذا قررت ان أقضي العطلة الصيفية في شقتي إلا ان والدتي اصرت كثيرا على عودتي إلى البيت

اتصلت بي من الهاتف الأرضي للمنزل و طلبت من المجيئ و كان صوتها حزين ربما شعرت برغبتي في الابتعاد عنهم، رغم اعتراضي لكن دون فائدة امام دموع امي، كيف ستكون ايامي في هذه العطلة..

في الرابع من اغسطس عدت إلى اسرتي استقبلوني بحفاوة كبيرة وخاصة امي..في مساء ذلك اليوم كنت جالسا على الاريكة اتصفح الفيسبوك على هاتفي الجوال ، فجأة رأيت صفحة فتاة محجبة فأعجبتني ، تسللت إلى حسابها فوجدت لها صورة مكبرة على وجه فتاة منقبة تفحصت صورة جيدا لم يظهر منها سوى عينان لوزيتان مذهلتان ذوات قزحية تتلون بين الاخضر والبني والعسلي..هذا كل ما اظهرته الصورة ولم يكن في إستطاعتي إتمام نعت التحفة الربانية.. قمت بإرسال لها طلب صداقة على الفور وهذه اول مرة ارسل فيها طلب صداقة منذ إستعمالي للفيسبوك، كنت اكتفي فقط بقبول طلبات صداقة احيانا و لا اقبل الإناث إطلاقا و لماذا تغير الامر الآن لا ادري..مرت دقائق حتى جاءني إشعار بأنه تم قبول الصداقة من قبل "فردوس الجنة" ارسلت لها " مرحبا" وما لبثت حتى ارسلت لي هي "وعليكم السلام"

(محادثة)

أنا: أنا اسمي تقي الدين وانت..؟

الفتاة: –فردوس

انا:–حسنا ..تشرفت بمعرفتك

الفتاة:–شكرا لكن..لماذا صفحتك كلها بالاسود يا اخي

انا:–لانني اعيش في عالم مظلم..

الفتاة:–عرفني بنفسك اكثر..

انا:–لا يمكنني ذلك او بالاحرى لا انصحك بذلك

الفتاة:–لماذا !!؟

انا:– لاشيء

الفتاة :–, يبدو انك شخص غريب..

انا: –ربما..وداعا

الفتاة:–...

كثيرة الأسئلة و مزعجة ،انهيت الحوار معها ثم اغلقت هاتفي.. اسدل الليل ستاره وتسلل الظلام من الغرفة المطلة على الشارع.. استقليت على سريري وانا اشعر ان في دخلي ظلام الصدع يناديني..تذكرت الفتاة التي حادثتها على الفيسبوك هي صحيح مزعجة بأسئلتها لكن انا ايضا لم اكن لبق معها ربما لأنني اول مرة اتحدث مع اثنى او ربما بسبب ابعتادي وانطوائي.. وسط كل هذه العزلة اخشى ان يصاب قلبي بالجفاف فلا اعود قادرا على الحب و على تقبل الآخرين،اخشى ان افقد الشعور تجاه الاشياء و لا ينتهي من رأسي هاجس الخشية..بدا النعاس يداعبني ساحبا جفوني برفق..

يوم جديد استيقظت في وقت متاخر برأس مثقل وجسد خامل فلم يكن مني الا ان صليت صلاتي قضاء ثم بعدها دخلت المطبخ و تناولت شطيرة مكونة من الخبز و الجبن كانت قد اعدتها لي امي وعدت ادراجي إلى غرفتي لكي أنام مرة أخرة..تمر الأيام والعطلة الصيفية على وشك الانتهاء لكن خلال الايام التى مضت لاحظوا عائلتي وجودي من عدمه معهم و تغيرت علاقتي بهم يعني ما كنت أخشاه قد وقعت فيه لم اعد اجد راحتي في البقاء معهم ..في نهاية اليوم الاخير من العطلة استيقظت متاخرا كالعادة، قمت بروتيني اليومي ثم دخلت غرفة المعيشة اردد "صباح الخير"..لكن لا احد يهتم لا ابي ولا امي ولا حتى اخي سعد الدين..صعدت غرفتي انتظر الغداء لكن لا احد يناديني، نزلت للمطبخ وجدت ابي فقلت: "–انا جائع وانتم تاكلون " ثم اقتربت نحو طاولة الطعام ، فرايت امي وابي واخي سعدالدين ينظرون لمقعدي وهو فارغ، بدات امي بالبكاء وابي نهض من مكانه واكملت امي في البكاء لتقول لي : –هل تتذكر كيف كنت معنا

لا ادري لماذا نزلت دموعي لكن هل انا مت في نظر عائلتي..

******

في أول يوم من شهر سبتمبر ٢٠١٦ اصبحت على صوت المطر ، انه إحساس جميل في فصل الخريف جلست بالقرب من النافذة اشاهد رذاذ الماء ينسكب على الزجاج ، كانت الغيوم تملا السماء وامطار خفيفة تتساقط، في ذلك الحين اخذني خيالي بعيدا ، ذكريات الشتاء الجميلة ولأنني من عشاق ذلك الفصل كثيرا، عندما كنت انا واخي سعد الدين نتزاحم على الجلوس وحوز مكان في احضان امي الغالية لنتدفئ بحنانها..استيقضت من ذاكرتي وعدت إلى واقعي الكئيب و المميت لقد اعتدت هذه الحياة وحيدا بعيدا عن اهلي..فتحت الفيسبوك فرأيت فيديو قد نشرته الفتاة التي تدعى "فردوس الجنة" انتابني الفضول ففتحت الفيديو ، كانت ترتدي نقابا وترتل القرآن بصوت عذب يذيب القلوب، هذه الفتاة جوهرة باتم معنى الكلمة ، من الصعب جدا أنا تجد مثلها في زمن الفتن و عصر الانترنت.زاد إعجابي بهذه الفتاة شيئا فشيء واصبحت أتابع صحفتها و ما تنشره من من تدوينات دينية..

كنت اترشف قهوتي مع قطعتي من الحلوى"المقروض" بجانب الشرفة أستمتع بدفء الشمس وبزقزقة العصافير التي نادرا ما تسمع صوتها في هذه المدينة الصاخبة، سارح في إستنشاق نسيم الصباح،مستمتع إلى تلاوة القرآن الكريم المنبعثة من شرفة إحدى الجيران، تذكرت فردوس الجنة وصوتها العذاب في ترتيل القرآن الكريم، وضعت فنحاني وصحن الحلو فوق حائط الشرفة وهرولت إلى غرفتي جلبت حاسوبي المحمول الذي اشتريته منذ

يومين من المنحة الجامعية ،فتحت حسابي على الفيسبوك دخلت على صفحة الفتاة فوجدتها ناشطة:

أنا:- السلام عليكم

بعد خمس دقائق

الفتاة :-و عليكم السلام

أنا : -كيف حالك

الفتاة: -بخير الحمدالله شكرا و كيف حالك أنت

أنا:-لست بخير

الفتاة: -احكي لي مشلكة

أنا:-وما الفائدة

الفتاة: -سأجد لك حل إن شاءالله

أنا: -وعندما أقول لك أن مشكلتي عويصة جدا يستحال حلها ماذا تفعلين..؟

الفتاة: ادعو لك الله فلا شيء هين ومستحيل امام إرادة الله و عظمتة.. اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون

قرأت كلماتها ، أرتجفت مفاصلي وشعرت بظغط في راسي فاغلقت الحاسوب واحسست بمشاعر غريبة لا أعرف سببها جعلتني اصغي إلى حديث دار بين عقلي وقلبي

عقلي : لم هذا الامتعاض و الحنق

قلبي : لا ادري..لا أعلم

عقلي: عد إلى رشدك..

قلبي: أنا في رشدي

عقلي: أنت تتجرف، لقد اعجبتك كلماتها، أنت تقع ..

قلبي: كف عن هذا الهراء، لا أريد سماع شيئا آخر..

تنازعا ولا أجد أن استمع لهما..عقلي يقول بأنني ساجذ ووقعت في حب فتاة قد تكون بالنسبة لي نزوة عابرة وقد انزويت في أحلام وردية بلهاء..و قلبي يقول أن الحب ليس حراما والإعجاب بينك وبين نفسك ليس إجراما، ربما الحب يساعدك ان تخرج من عزلة الانترنت وتعود إلى واقعك...احترت بينهما و هما يتصارعان ويتجذبان فصرت كزورق به فجوة في عرض البحر يغرق في صمت..عدت وفتحت حاسوبي من جديد ودخلت على متصفح ابحث عن كيفية العلاج من إدمان الانترنت وهل من الممكن أن أجد هذا العلاج في الانترنت التي شوهت حياتي اغلقت الحاسوب بغضب وذهبت إلى الجامعة ربما ابتعد قليلا عن التفكير في حياتي التعيسة، وصلت بقيت أنتظر المحاضرة وحيدا كالعادة فنادرا ما أتكلم مع بعض الطلاب دائما منزوي على نفسي حتى صديقي سيف انقطعت اخباره عني منذ نجاحنا في البكالوريا أنا في الحقيقة لم أبحث عنه عبر الفيسبوك ولكن هو حتما بحث عني و لم يجدني لأن اسمي على الفيسبوك "سواد" خيرت هذا الاسم اولا لأنه ينسابني ثانيا لكي لا يتعرف عني أحد من اصدقائي لكن لست من

اصحاب الحسابات المزيفة تلك الحسابات التي دائما ما تحتوي اسماؤها على مضاف و مضاف إليه وغالبا ما يضع صاحب الحساب صورة الممثل الهندي "شاروخان" ظنا منه ان هذا يجعل حسابه اكثر جاذبية ..سنة جديدة ومرت ايام وشهور وأنا بعيد عن عائلتي ولا اتواصل معهم أكتفي فقط بعزلة الانترنت ومتابعة " فردوس الجنة" واحيانا أحادثها وكالعادة تقدم لي بعض النصائح..

٣٠ ابريل ٢٠١٧

أغلب الايام مشابهة و تكفلت الوحدة بقتل ما تبقى لي من ذكريات..

فتحت عيني فوجدت نفسي عالقا في حلم، حلم غريب كنت أجري في حقل ممتد من القمح و السنابل تلمع تحت اشعة الشمس وكان هناك ظل عملاق يطاردني وفجأة سمعت صوت نعيق الغراب، ادركت في تلك اللحظة مما كنت اهرب فانقض الغراب على جسدي فسقطت على الارض عندها استيقظت مذعورا..شعرت بالوهم بأنني غير موجود كأنني لا اعيش على الأرض الواقع، شعرت بإنفصال شديد عن حياتي و رؤيتي للدنيا بدأت لي ناقصة ومختلة فيها خلل ، اصابني تصحر عقلي فلم أستطيع التفكير أو حتى الكلام ، اشعر بتلعثم شديد في لساني و كأني طفل صغير..لابد من إيقاف نزيف العبودية تحت وطأة العزلة..أخيرا أخذت القرار المناسب وسأفعل ما يتوجب عليا فعله منذ السنين التي مضت وانا وحيد ومعزول ،سأتحرر من إدماني واخرج من هذا العالم الإفتراضي سأعود إلى واقعي ...

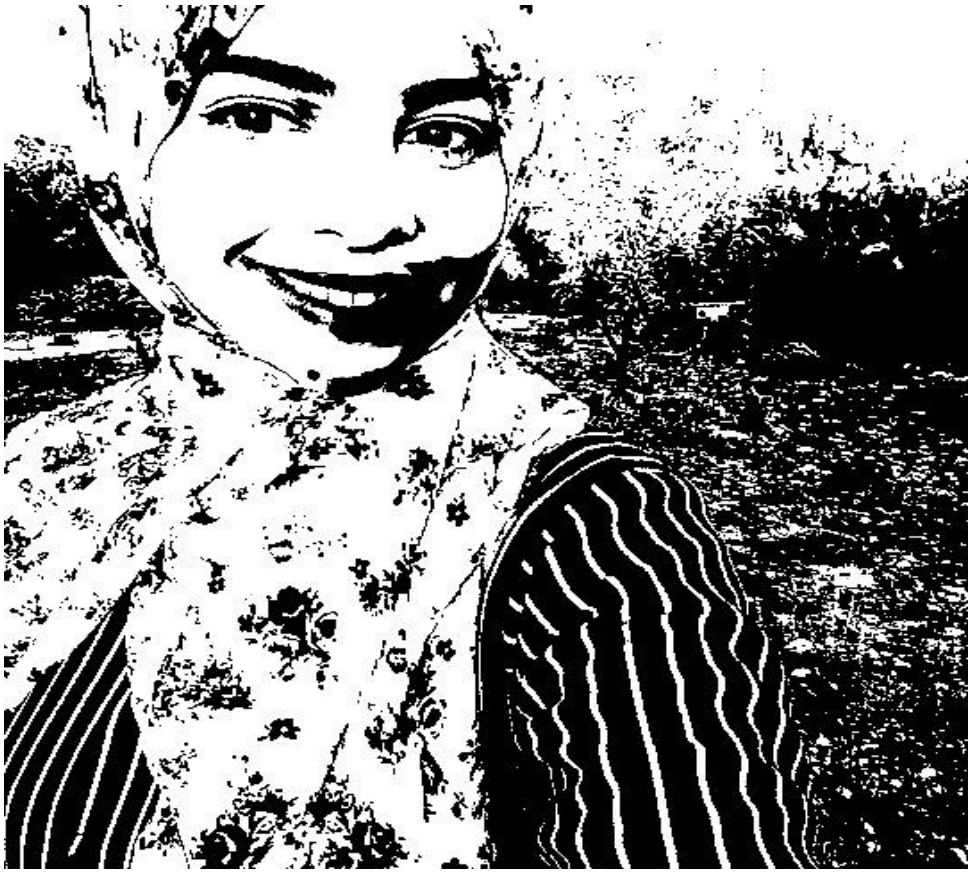

النهاية

حفيظة العبيدي (مدونة) من مواليد٠٣/٠٦/١٩٩٦

درست رعاية صحية بإحدى معاهد علوم التمريض الخاصة بتونس

كاتبة روائية و تميزت أيضا بكتابة الخواطر

https://www.facebook.com/hafidha.laabidi.9

حفيظة العبيدي: كاتبة و مدونة تونسية شابة ولدت بمدينة سبيبة و درست في إحدى المعاهد الخاصة لعلوم التمريض

”

منذ إنتشار الانترنت في الاونة الأخيرة لم نعد نشعر بالوحدة أو الملل، لكن أصبحنا نفتقد سمة أساسية من سماتنا البشرية، وقد تغيرت أشياء كثيرة.. ورويدا رويدا أفسدت الأنترنت نصف جمال حياتنا وتمزقت روابطنا الإجتماعية وكل منا أخذ يعيش في عالمه الإفتراضي، وفقدنا متعة العيش كمجتمع وكأهل وكأسرة..كل الفئات العمرية أصبيت بلعنة الانترنت،قطار نستقله جميعا فلا ندري متى يتوقف..؟

“